



مجلة الباحث

موقع المجلة: <https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/>



الجهود الأدبية والنقدية في كتاب
(فصول التماثيل في تباشير السرور)

م.د. ضحى ثامر محمد عميرة الجبوري

جامعة كربلاء / كلية الهندسة

المستخلص باللغة العربية:

معلومات الورقة البحثية

لقد زحرت الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر العباسي بالعديد من الظواهر والقضايا التي كانت تنصدر الموضوعات الشعرية والنثرية ، ومنها موضوع الخمرة الذي كان من القضايا التي اثارت الجدل الواسع في المجتمع آنذاك، بين محلل ومحرم وبين واصف لها ، وبين من اتخذها علما يدرس أصول صناعتها وكل ما يتعلق بمعاقرتها ، وفي هذا البحث تم تسليط الضوء على كتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور) للشاعر الناقد ابن المعتز ؛ لأنه يمثل احد الكتب الأدبية القليلة التي اتخذت من الخمرة موضوعا ادبيا تم تداوله بفصول أربعة ، ولم يكتف ابن المعتز بذلك فقط ، بل اضى في هذا الكتاب الطابع النقدي، وكان منقبا وباحثا في استشهاده الشعرية. ولقد تابع البحث في تمهيده التعريف الأدبي لمفهوم الخمرة وتدايعاتها في الشعر العربي ، ومن ثم تدارس البحث في انطلاقة الأولى الكتاب وابعاده الأدبية من حيث العنوان والمضمون والأسلوب وقيمتها الأدبية ، ثم نحا البحث الى الابعاد النقدية ووقفا عند أبرز الظواهر النقدية في الكتاب وهي السرقات الشعرية والموازنات ، ثم ليأتي بأهم النتائج الملخصة للبحث

تاريخ الاستلام

2025/1/1

تاريخ القبول

2025/2/1

تاريخ النشر

2025/3/1

الكلمات الرئيسية :

يقونة الخمرة في التأليف
الأدبي والنقدي ، الجهود
الأدبية للكتاب ، الجهود
النقدية للكتاب .

المقدمة

التمهيد

يقونة الخمرة في التأليف الأدبي والنقدي

الأدب الخمري ، هو ذلك الأدب الذي قيل وألف فيه شعرا ونثرا ، وإن كان صدها أوسع وأكثر شعريا ؛ لأنه حصيلة مجالس الشراب التي كان يرتادها الشعراء والادباء والعلماء والخلفاء ، والشاعر ابن بيته يعبر عنها وينقل اخبارها ، فهو الذي ينقل ما يتداول ويقال في مجالس الشراب وما يدور حولها من خمر وغناء ولهو وتهافت على الملذات بأشعار تعبر عن نشوتهم وشدة تعلقهم ، حتى أصبحت هذه المجالس مصدر الهام الشعراء وابداعهم ، واخذوا يتفننون في التوصيف حتى باتت ظاهرة أدبية كبيرة في الادب العربي .

إن فن الخمرة قد اكتمل واستقل واستقام بذاته وكثر رواه وشعراء وعلماءه ونقاده في العصر العباسي، بعد أن كانت جذور نشأته الأولى جاهلية واموية، وإن هذا الاستقلال الشعري و الموضوعي استدعى الشعراء إلى أن يفيضوا فيه ، ويبرزوا الملامح والتفاصيل في وصف ألوان الخمرة ورائحتها ومذاقها ، ووصف مجالسها وتأثيرها في الشاربين ووصف سقاتها وندمائتها ، وأهم مناقعها ومضارها النفسية والجسدية والاجتماعية والسلوكية ، ويضاف إلى ذلك التعمق في معاني الخمرة شعريا وتنوع معجمها اللغوي ، فضلا عن تنوع الصور الشعرية واتساع دائرة الخيال .

ومما لاشك فيه إنّ كل موضوع شعري شكل تجديداً يعتد به على مستوى القصيدة العربية - العباسية تحديداً - فهو محط استدعاء النقاد آنذاك ، لا سيما أنّ النقد الأدبي كان في أوج تطوره وازدهاره ، لذا تخالف عليه النقاد من حيث التقييم والمفاضلة والموازنة والمناظرة ، وحسن الاختيار الدلالي واللفظي ، ومن ذلك رأي أبي الفرج الأصفهاني في خمريات مسلم بن الوليد إذ قال : " وللوليد في ذكر الخمر وصفها اشعار كثيرة قد أخذها الشعراء ، فأدخلوها في اشعارهم ، وسلخوا معانيها ، وأبو نؤاس خاصة ، فإنّه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره ، فكررهما في عدة مواضع منه " (1).

وهذا الرأي يعبّر عن قوة المعنى في خمريات مسلم بن الوليد وهو رأي نقديّ يحتذى به ، وعبد الله بن المعتز كان واحداً من أشهر الشعراء والنقاد الذين كتبوا في الخمرة شعراً وتألّفوا نقدياً ، إذ انصبّ تركيزه على التشبيه المركب والصور الوهمية ، وتدقيقه في الوصف والتشبيه ، وخاصة في ملاحظة اللون واطهاره ، وتوظيفه المجوهرات والذهب لهذا الغرض بصورة واسعة ، بالإضافة إلى ما أدخله في الخمريات من شعر الطبيعة خاصة في ما يتعلق بالتشخيص ووصف الزهور والتعبير عن التمتع بجمال الطبيعة ، كما إنّ اهتمامه بالتشكيل المكاني من أجل ادخال القارئ الى جو القصيدة أمرٌ لا نجد له أمثلة كثيرة في الشعر العربي القديم (2).

المبحث الأول : الجهود الأدبية (الكتاب ، عنوانه ، ومضمونه ، وقيّمته الأدبية)

يمثّل عنوان الكتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور) أول العتبات البصرية والقرائية في الكتاب ، إذ يحط القارئ أو المتلقي أياً كانت ثقافته ازاءه مجموعة من التأويلات والمدلولات قبل أن يكشف سبر اغواره ، فالعنوان وحده محطة قرائية ، قد يدخل في علاقة جدلية مع مضمون الكتاب ومنهجه ، لأنّ العنوان اصبح في المفهوم النقديّ " حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي النصي ، واصبح بالإمكان أن نتحدث عن شعرية العنوان كحديثنا عن شعرية النصوص المعروضة بعد العنوان " (3). وهناك من يرى أنّ عتبة العنوان ومسألة الوقوف عند فك شفراته هي مسألة تخص التأليف الحديث ويفتقر إليها المؤلف القديم ، الا أنّ العديد من المؤلفات القديمة حملت عناوين كانت محط اهتمام الكاتب نفسه ، حتى أنه فسّر سبب اختياره هذا العنوان .لذا نجد أن ابن المعتز قد علل تسمية مؤلفه هذا الذي نحن بصدد دراسته ، وبالرغم من أنّ هذه العتبة لم تشكل ظاهرة أدبية نقدية في الثقافة القديمة ، الا انها كانت المنشأ الأول للالتفاتة لهذه الظاهرة الحديثة .

إنّ عنوان الكتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور) من العناوين المراوغة التي لا تسلم نفسها بسهولة للقارئ ؛ لأنها تخفي مضمون الكتاب بامتياز إذ إنّ الكاتب نفسه قد فسّر العنوان في مقدمة كتابه ، إذ قال : " وعدلت الى ما يجب لنفسي على نفسي من تحصيل فصول التماثيل المتصلة باللفظ المنثور ، والقريض المشهور في ريحانة الأنفس ، وعروس المجلس ، وشقيقة الترياق ، وماسكة الرماق ، وتحفة العشاق ، وناقية الهموم ، ودافعة الغوم ، ومفتاح تباشير السرور الكامل والطرب العاجل ، فنظمتها في كتابي هذا وجعلته عوضاً ممن حياته تورث الحزن ، وموته يضحك السن ... " (4) ، وبهذا التفسير المسهب نتبين الإشارة إلى موضوع الكتاب ، الذي ابتدأ بما كان يمثل سئنة داوم عليها الكتاب في تصدير مؤلفاتهم ، وهي الابتداء بالبسملة والتحميد والثناء على الله تعالى والصلاة على سيدنا محمد (ص) ، ثم بعد ذلك يصرّح بما اقبل عليه من التأليف ، إذ قال ابن المعتز مصرحاً بموضوع مؤلفه : " أما بعد ، فأن للشراب مرتبةً خفيفةً المدخل ، ومنزلةً لطيفةً المُحصل عند جماهير الخلفاء ومشاهير الوزراء وحكماء الأطباء ورؤساء العلماء وفهماء العرب وظرفاء اهل الأدب " (5) .

إنّ القول بموضوع الشراب أو الخمر والشعر موضوع نال الاهتمام الكبير منذ العصر الجاهلي ، فقد ذكرت الخمرة في اشعار الجاهلية وإن لم تكن غرضاً مستقلاً بذاته وانما ذكرت ضمن القصائد الطوال أو المقطوعات الشعرية ، إذ وصفوا رائحتها وصفاءها والوانها وما تفعل بالعقول والابدان ، وذكروا ما يرتبط بها من السقا والمغنيات (6) .

وقد سلك شعر الخمر بعد العصر الإسلامي تجاهيين ، الأول ، اصبح الشعر الخمري باب أو غرض من أغراض الشعر العربي المستقل بذاته فنال من التجديد في المعاني حظوة كبيرة لدى الشعراء والنقاد ، وكان في مقدمتهم شاعرٌ ومؤلفٌ وناقدٌ في الشعر الخمري ، هو ابن المعتز ، إذ انصب تركيزه على التشبيه المركب والصور الوهمية وتدقيقه في الوصف والتشبيه ، وخاصة في ملاحظة اللون وازدهاره ، وإدخال المجوهرات والذهب والطبيعة في التعبير عن الخمريات (7) . والاتجاه الاخر ، هو أنّ الخمرة وما يتعلق بها من اشعار ومنادمة واوصاف قد كانت محط جدل بين الفقهاء في مسألة التحريم والتحليل ، بعدما حرمها القرآن الكريم . إذ قال تعالى : ((ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)) المائدة/ 90 .

ويعد كتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور) الكتاب الرابع الذي ألف في الادب الخمري ، إذ سبقه الجاحظ في كتابه (في مدح النبيذ وصفة أصحابه) وكتابه الثاني (الشارب والمشروب) ، وكتاب ابن قتيبة الدينوري (الاشربة) ، ولقد بُني كتاب ابن المعتز حسب رؤية منهجية قائمة على فصول أربعة يذكرها ابن المعتز بالتسلسل ، قائلا: " وبنيت على فصول أربعة تحيط بأصول المنفعة . وجعلت كل فصل منها منفردا بنفسه في حال ومنتظما في حال ، فجعلت الفصل الأول مفردا لما قيل في الكروم والاعناب وفصائل الشراب ومشهور خاصته ...، وجعلت الفصل الثاني مفردا لما قيل من الدلائل على اختيارات القدماء لأنواع الاشربة من الروم والفرس والعرب ، وأوردت سببا لاختلاف الحادث في محبتها ...، وجعلت الفصل الثالث مفردا لما قيل في تحريم الشراب وتحليله ، وما جاء من التعويض عنه ...، وجعلت الفصل الرابع في وجود سبب السكر واختلاف أفعال الاقذاح فيه ، وتباين حركاته في الابدان ... " (8).

وتتمثل منهجية الكتاب في جمع اكبر قدر ممكن من الشواهد الشعرية الخاصة لكل فصل من فصول الكتاب التي تجري عليها صفات أو صاف هذا الباب ، وتتميز هذه الشواهد الشعرية بأنها قائمة بذاتها مستقلة بمعناها لا تخضع لتسلسل ايجدي ، ولا على حساب القافية المتبعة في الديوان الشعري ، ومن جانب اخر يخضع الكتاب الشواهد الشعرية لجمهرة شعرية مختلفة العصور والاذواق بما يتناسب مع كل موضوع يتطرق اليه ، فالشعراء ليسوا من جيل واحد ، أو من طبقة شعرية واحدة، إذ يستشهد بطبقات المجتمع كافة من خلفاء ووزراء وعلماء وشعراء ، وغلما ن وكل ما له علاقة بعالم الخمر والشرب .

وما نلحظه في منهج الكتاب ، ذلك الاضطراب والتكرار في الاستشهاد لكل شاعر ، وهذا له دلالة على سعة ثقافة ابن المعتز باطلاعه الدقيق على شعر كل شاعر تم اختياره ؛ لأجل إحصاء اكبر قدر ممكن من الشواهد الشعرية الخاصة بفصول الكتاب ، كما قال د. محمد زغول سلام : إن المختارات الشعرية هي عملية ذوقية ، لا تتأني الأ لمن امتلك ثقافة نقدية تراكمية أنتجتها كثرة القراءة والتدريب والممارسة والصلة الطويلة بالصناعة النقدية ، وقبل ذلك كله أن يمتلك صاحبها موهبة نقدية ناتجة من طبيعته الفكرية (9)

وكيف لا يتأني ذلك لابن المعتز وصاحب الكتاب اميرٌ وشاعرٌ وناقدٌ وصاحب اكبر الكتب النقدية والبلاغية والأدبية مثل طبقات الشعراء المحدثين ، والبيدع ، وكتاب الجامع في الغناء ، وارجوزة في ذم الصبح ... وغيرها ، فمؤلفاته قد تجاوزت الستة عشر مؤلفا .

ويمكن القول أنّ هذا الكتاب فريداً في بابه ، جديداً في منهجه، فضلا عن أنّ مؤلفه قد ألزم نفسه باختيار الابيات التي تنصف بمواصفات متعددة ، منها ما كانت تمثل رؤى نقدية لأدب المفاضلات والموازنات وذكر السرقات الشعرية أو المحاسن والمساوى لهذه الابيات وتلك ، ومن جانب اللفظ والمعنى أو تلك الشواهد الشعرية التي كانت محط اهتمام النقد ؛ لأهميتها من جانب المحتوى والتشكيل الخاصة بفصول تحريم الشراب وتحليله وللصبح والغبوق ولفصائل السكر ، والاعتذار عن السكر وغيرها ، ويسوّغ ابن المعتز سبب ذلك الاختيار بالقول : " ولم أر صوابا أن اجري فيما صنفته واذهب فيما ألفته في سائر كتبي ووجوه مطلبي إلى مثل ما ذهب إليه علماءنا من مجاورة المعاني الشريفة بالمعاني السخيفة ، فيلزمني العيب ممن تقدمت فيه عيبه ، وأكون كمن وعظ غيره ، وأنسي مكان الموعظة من نفسه . بل قصدت إلى تخليد ما يوقظ اللب ويعمر القلب ويصلح للحفظ والمذاكرة والمباهاة والمفاخرة وتنتكبت ما يسهل على الرعية حمله الى ما يعجزها نقله ليستوطن شريف اختياري محله ويسعد به اهله ويحظى بكريم جوهره" (10)

اما أسلوبه في تأليف هذا الكتاب ، فكان يجمع بين أسلوب العالم والاديب والشاعر والناقد ، فهو حين يستعرض الموضوع يأخذ دور العالم في الوصف والتشخيص مستعينا بدليل احد الحكماء والأطباء أو العلماء ؛ ليؤكد أنّ ما تداوله في هذا الموضوع كان نتيجة اطلاع وتمحيص دقيق ، مثال ذلك قوله في باب ما قيل في الكروم والاعناب : " الكرمة شجرة مكرمة شريفة العنصر تزهو بورق تحلو البصر كأنه السندس الأخضر ، وتضحك عن ثمر حلو المخبر كأنه شمرايخ الجوهر " (11)

ويأخذ دور الناقد ابن المعتز عندما نلاحظ أنه لم يقل قلت أو أرى أو أقول ، وهو أيضا لم يأخذ دور المتكلم بصورة مباشرة في ابداء الرأي في القضايا النقدية بل يقول ، نحن نرى ، وقالوا وغيره ، وكأنه امام محكمة نقدية وهو المدون الشخصي للمحكمة .

ورب سائل يسأل عن سبب التأليف النثري والنقدي في موضوع خالص للشرب وانواعه والوانه ومزاياه ، ويمكن أنّ تكون اسباب ذلك كثيرة منها ما هو اجتماعي ، أو ثقافي ، أو نفسي ، إذ أن شخصية ابن المعتز اتسمت بالمرح وخفة الظل ، و حياة القصور المترفة التي كان ينعم بها فقد دفعته الى أن يفتح ابوابه للندماء حي يستمعون الى انغام شعره واشعار الآخرين ، ويشربون ، ويسكرون ، وتضم مجالسه أيضا علماء اللغة والادب والشعراء الذين اضفوا على مجلس الأمير قيمة فنية وأدبية (12) ، وهذا ديدن الخلفاء والأمراء والوزراء كافة آنذاك ، وبطبيعة

الحال فإن الانسان ابن بيئته يتأثر فيها وتؤثر فيه ، وإن انعكاس ذلك التأثير يظهر على حالته النفسية وابداعه وعمله ، وكتاب (فصول التماثيل في سرور التباشير) تم تأليفه نتيجة لتلك الحياة المترفة التي عاشها المؤلف .
إن الدقة العالية في ذكر التفاصيل ما صغر منها وما كبر في عالم الشراب ، انما هي صورة لحياة الشاعر النفسية ، فابن المعتز هو ابن السلطة وحفيدها الشرعي ، وما تعرض له من غبن لحقه في تولي الخلافة ونفيه ، جعله يتخذ طرقات شتى للهروب من الواقع السياسي ، وكان التأليف واحدا من هذه الطرق ، وهذا الهروب هو حالة انفكاك من الذات واللجوء اليها في الوقت ذاته ، وهذا ما ترجمه بقوله : " وربُّ كتاب يغني عن كثرة الاصحاب ، وينوب عن حضور الاحباب ، ويفيد محمود الاداب " (13)
وهناك رأي اخر هو : إن ابن المعتز نشأ شاعرا منذ صباه ، واتفق الشعر واجاد فيه ، وكان كاتباً مترسلاً بليغاً ، يشهد له العلماء بالبديع والبلاغة ، فقد اختص بالادب والشعر والبيان والنقد ، فهو الاديب البليغ ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، حسن الابداع للمعاني مخالطاً للعلماء والادباء (14) . وقد تحصل له ثروة أدبية كبيرة بمجالسته ومدارسته لهؤلاء كلهم مما حدا به الى أن يؤلف كتابه هذا .

ولابن المعتز مؤلفات كثيرة ومتنوعة في مختلف الموضوعات العلمية والحياتية ، لذا نرى أن سبب التأليف أيضاً قد يكون ظاهرة ثقافية أدبية نقدية بموضوع شكّل أهمية كبيرة في حياة مختلف طبقات المجتمع ، وقد تناول ابن المعتز في مؤلفه هذا على شكل مختارات كانت من افضل ما قيل في عالم الشرب والخمرة ، واخضعها للتداول النقدي الدقيق ، وهذا يدل على حسه النقدي والادبي الطاغى في تأليفاته ، فلا يستشهد بشعر الا وكانت رؤية نقدية تمحصه وتخضعه الى الغرلة بما يخدم الشأن الذي قيلت فيه ، لذا قال محققا الكتاب عنه أنه " مصدر لكل المواضيع المتعلقة بالخمرة " (15)

اما تحقيق الكتاب ، فقد قام بتحقيق الكتاب وكتابة مقدمته كل من الدكتور جورج قنازع ، والدكتور فهد أبو خضرة ، 1410هـ ، 1989م ، وصدر ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ولقد اعتمد المحققان في تحقيق هذه الطبعة على ستة مخطوطات تم الحصول عليها من مكتبات مختلفة فب كوينهاغن وبرلين والقاهرة وبيل وباريس ، فضلا عن انهما اعتمدا على نسخة مطبوعة تحمل عنوان (فصول التماثيل في تباشير السرور) وتم الرمز لها بالرمز م ، وطبعت ه سنة 1925 م في المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي وعلى نفقة الرحالة الليثية عن الاسفار النفيسة محي الدين صبري الكردي ، وهي تقع في 106 صفحة ، بينما الطبعة التي قام الاستاذان بتحقيقها التي نحن بصدد دراستها تقع 242 صفحة ، وإن ناشرها الأول لطبعة 1925 لم يبذل أي جهد في التحقيق أو التدقيق لا بالرجوع الى المصادر ولا بالمقارنة مع المخطوطات الأخرى ، ولم يكتب لها مقدمة ولم يذكر المخطوط الذي اعتمد عليه (16).

اما تحقيق هذا الكتاب فكان بالاعتماد على جميع الأصول والمخطوطات الستة واخرج المحققان نص الكتاب الأصلي ، معتبرين مخطوط كوينهاغن هو المخطوط الأم (17) ، ولقد صرح المحققان بأهمية الكتاب قائلين : " أنه حفظ لنا مجموعة كبيرة من الابيات الشعرية ، بعضها ورد فيه وفي غيره من المصادر القديمة ، وبعضها لم يرد في أي مصدر سابق له ، وبعضها لم يرد في أي مصدر سواه ، فهو بالنسبة للاولى مصدر مساعد في التوثيق والتحقيق ، وبالنسبة للثانية مصدر أول ، وبالنسبة للثالثة مصدر وحيد . وبالإضافة الى ذلك يعكس لنا بعضاً من اهتمامات الطبقة العليا في ذلك العصر ، ويعطينا فكرة عن مجالسهم وعن اتجاهاتهم في الحياة والادب والتفكير " (18)

واضافة الى تلك الأهمية ، فإن للكتاب قيمة أدبية ونقدية كبيرة تتبين عبر ما يقدمه للقارئ من مادة أدبية ونقدية متنوعة شملت طوائف الشعراء من العصور كافة ، وجمع اكبر قدر ممكن من الاختيارات الشعرية ذات المعنى المستقل ، وتلك الرؤية النقدية المنبثقة منها ، متحرراً فيها الدقة في النقل والمتابعة والمقارنة بين الشواهد في ذات المعنى ، وكذا تتجلى الأهمية في أنه جعل تصدير كل باب من أبواب الكتاب بقول حكيم أو قول عالم أو شاعر .

المبحث الثاني : الجهود النقدية في الكتاب

كان ابن المعتز ناقداً حاذقاً لا يكتفي بدراسة الشعر دراسة بنوية بل يتعداها الى الدراسة الثقافية ، أي كل ما يخص أحوال الشاعر وبيئته وأهل زمانه وسيرته ، فيقارن بين قوله وفعله ، فالنقد عنده عملية تفقيش ومكاشفة ، وهو في الوقت ذاته ليس تسقيطاً لأبداع الشاعر وانتقاصاً منه ، إذ إن ابن المعتز وضع اصولاً نقدية لمن بعده ، وذلك بقوله : أربعة من الشعراء سارت أسماءهم بخلاف افعالهم ، فأبو العتاهية : سار شعره في الزهد وكان على الاحداد ، وأبو نؤاس : سار شعره باللواط وكان أزنى من قرد ، وأبو حكيم الكاتب : سار شعره بالعنة وكان اهب من تيس ، ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة وكان احرص من كلب (19).

ومحطات ابن المعتز النقدية كثيرة في الشعر والشعراء ، فكان لا يعطي رأياً نقدياً إلا واصبح مفهوماً نقدياً يحتذى به ، مما جعله " انقد النقاد " (20) ، ومثلما كانت له محطاته النقدية الخاصة ، فإن شعره هو الآخر اصبح مثلاً للنقد ، إذ رأى الباقلائي في تشبيه ابن المعتز ما يشبه السحر ، إذ قال وانت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه

البديع الذي يشبه السحر ، ولقد تتبّع في هذا ما لم يتتبّع غيره ، واتفق له مالم يتفق لغيره من الشعراء (21)، وقال أيضاً : وتجد لابن المعتز في موقع شعره من القلب في الفخر وغيره مالا تجد لغيره (22). ويقف النقد الحديث عند شخصية الناقد بالوصف النقدي ، فنقرأ رأياً لابن سنان الخفاجي إذ قال : إنّ ابن المعتز علّم من اعلام النقد الممتازين في عصره ، وهو رفيع المكانة ، عظيم المنزلة في هذا الفن ، بل هو اعظم نقاد عصره آثاراً ، واكثرهم عناية بالبحث في النقد والتأليف ، وقد أُلّف في طبقات الشعراء ، وفي السرقات ، وتداول أعمال كثير من الشعراء وشعرهم بالنقد ، ودرس مشاكل النقد التي انبرت في عصره وكتب فيها (23). إنّ هذه الالتفاتة المختصرة حول شاعر وناقد كبير ما هي الا لبيان أنّ نقده كان يصدر عن موهبة شعرية عارفاً وتممكناً منها وبارعاً في اتقان عمله قولاً وفعلاً ، وعليه سلط الضوء على أكثر ابرز القضايا النقدية التي شكلت ظاهرة في الكتاب دون غيرها من القضايا النقدية.

أولاً: السرقات الشعرية

السرقات الشعرية قضية نقدية مهمة ، ذات باب واسع ، عرفها النقد الادبي وأولاهها النقاد اهتماماً كبيراً منذ نشأتها الأولى في الشعر الجاهلي ، وكثرت فيها المؤلفات النقدية (24) ، والمسوغ الأول لنشوء هذه القضية هو : " اتصال النقد بالثقافة ومحاولة الناقد أن يثبت كفايته في ميدان الأطلاع" (25) .

ولقد وردت مصطلحات كثيرة للسرقة وقد تداخلت لدى النقاد ، فمنهم مقتنع بمعنى السرقة وتسميتها ، والأخر غير مقتنع ، وسُمّي هذا المفهوم بتسميات أخرى مثل السرقة الخفية ، والأخذ ، والتضمين ، والسلخ ، والاستعارة ، والنقل ، والغصب ، وغيرها (26)، فإذا وقفنا عند رأي أبي الفرج الاصفهاني في موسوعته الأدبية النقدية (الأغاني) نلاحظ أنه قلما استعمل مصطلح السرقة ، بل فضل عليه تسمية (الأخذ) الذي هو اقرب إلى التوارد مثل ما استعمله ابن قتيبة ، والقاضي أبو الحسن الجرجاني ، الذي رأى أنّ السرقة تكون في المعاني النادرة والمبتكرة ، أو في التشبيهات البديعية . أما في المعاني المشتركة والالفاظ المشتركة والتشبيهات المعروفة فليس هناك سرقة (27) . وعبد القاهر الجرجاني في كتابه الوساطة ، لا يعد من السرقة الصحيح الا " ما جمع اتفاق الالفاظ وتساوي المعاني وتماتل الاوزان" (28)، ولم يطلق الجرجاني مصطلح حادّ في توظيف مفهوم السرقة بل سماه بمسميات ليّنة مثل النقل ، القلب ، النقص ، الامام ، الملاحظة ، الاحتذاء ، الاخذ وهكذا (29) .

اما ابن المعتز الذي نحن بصدد دراسته النقدية فهو الشاعر والناقد العارف بمذاهب الشعراء ، وكان عارفاً بمعانيهم واساليبهم ، واعياً للثقافة الأدبية ، مطلعاً على التراث ، وله آراؤه الكثيرة والكبيرة بموضوع السرقات الشعرية ، وهو صاحب الكتاب المفقود (سرقات الشعراء) وهو الكتاب الذي أشار اليه الأمدي في كتابه الموازنة (30) ، فقد أشار الى المكانة النقدية للكتاب ، ونقد نقل رأياً نقدياً لابن المعتز ، فقال : انشد عبد الله بن المعتز في كتاب سرقات الشعراء لسلم الخاسر يعيبه برديء الاستعارة في قوله :

لولا المقابر ما حطّ الزمان به لا ، بل توّلى بأنفٍ كُله دام (البيسيط)

وقال ابن المعتز : هذا رديء كأنه من شعر ابي تمام الطائي ، وليته لم يكن لأبي تمام من رديء الاستعارة الأ مثل استعارة سلم هذه او نحوها ، ونعوذ بالله من حرمان التوفيق (31)

وقد رأى ابن المعتز أنّ مثل هذه الاستعارات مسروقة من شعر ابي تمام ، ومن الملاحظ انه لم يقل (مسروقة) انما قال (كأنه من شعر ابي تمام) فهو الناقد الذي لم يصرح أو يطلق تسمية سرقة بل يعطي هذا المفهوم تسمية أخرى بديلة او شبيهة ، وأكثر ما نلاحظ في كتاب (فصول التماثيل في تباشير السرور) أن ابن المعتز عند وقوفه عند ظاهرة السرقات الشعرية يقول (أخذ) او ما يشابهه ، فمن ذلك ما نقله من رأي الشعراء في أوصاف ديبب الشراب في اشعارهم ، فقد نقل رأي الأخطل الذي وصفه ابن المعتز بالقول الحسن : (32)

(الطويل)

تدبُّ ديبباً في العظام كأنه ديببُ نَمالٍ في نقا يتهيلُ

(الكامل)

وقال أبو الهندي :

ولها ديببٌ في العظام كأنه فيضُ النعاسِ وأخذهُ بالمفصلِ

(الكامل)

وهذا مأخوذ من قول حسان بن ثابت:

كلتاها حَلْبُ العصيرِ فعاطني بزجاجةٍ أرخاهما للمفصلِ

بزجاجةٍ رقصتُ بما في قعرها رقصَ القلوصِ براكبٍ مستعجلِ

قال أبو العباس : وذاكرني امير المؤمنين المعتضد بالله بهذا ، فقال لي : من أين أخذ أبو الهندي ؟ فقلت: من قول منصور بن سلمة في وصف السيف؟ وأنشدته قوله :
(الكامل)
وكانَ موقعه بجمجمة الفتى خدرُ المدامةِ أو نعاسُ الهاجع

فقال لي : احسنت ، فمن اين اخذه الاخطل ؟ فقلت : لا علم لي يا امير المؤمنين ، فقال : أول من أحسن في وصف لطيف الدبيب امرؤ القيس في قوله :

سموثٌ إليها بعدما نام أهلها سموّ حبابِ الماءِ حالاً على حالِ (الطويل)

فقلت : يا امير المؤمنين، من ها هنا والله اخذ القوم اجمع هذا المعنى وأوردوه بألفاظ مختلفة .
فمن الملاحظ من كل تلك المناظرة النقدية بين الشاعر والخليفة أنّ الاثنين لم يقولوا قد سرقه من ... ، بل صرّحا بمصطلح (الأخذ) ، والأخذ هو أخذ كلام الآخرين سواء كان الأخذ لفظاً أم معنى ، وهو أن يعتمد الشاعر إلى الأخذ من ابیات شاعر آخر ، فإما أن يأخذ معانيها أو الفاظها ، أو صوراً خاصة ابتدعها الشاعر في قصيدته ومن ثم ينسبها إليه ، وشبيه ذلك انتزاع الفكرة من صاحبها ومبدعها من دون الإشارة له (33).

وفي رؤية نقدية أخرى يورد ابن المعتز مثالا لسرقة شعرية من نوع جديد يسمى تحويل المعنى أو عكس المعنى ، فقد قال أبو العباس : " وأما تمثيل الشراب ببياض النهار فنرى أن المعاني الواردة فيه محولة من اشعار العرب في صفات الوجوه الحسان ، فأنتج منها المولدون أنواعا من صفات الأشربة" (34)
ويستعرض مثالا شعريا فيما قاله بشار بن برد في وصف امرأة : (35)

خودٌ إذا جنح الظلامُ فإنها تكفي الموانسَ ففدّة المصباح (الكامل)

فحوله الحكمي الى صفة الشراب ، فقال : (الكامل)

قال ابغني المصباحَ قلتُ له اتندُ
فسكبتُ منها في الزجاجِ جرعةً
فكانها والكأس ساطعة بها
حسبي كفاني ضوءها مصباحا
كانت لنا حتى الصباح صباحا
صبح تقارب أمرة فانصاحا

وهذا التحول في إدارة المعنى من وصف امرأة إلى وصف شراب هي التفاتة ذكية ربما غير مقصودة من لدن الحكمي ليحول ذلك المعنى الى معنى مغاير تماما ، وهذا ما قصدناه بالمعنى المعكوس ، وهو أن يقوم الشاعر بأخذ المعنى فيعكسه ، وذلك يعد من احسن الأسس الدالة على وجود السرقة ، إذ يخرج حسنة من إطار السرقة ؛ لأنه يعدّ ابتداء في حقيقته (36) ، وهي عند عبد القاهر الجرجاني تعني (القلب والنقيض) التي تنص على أن يأخذ الشاعر معنى لمن سبقه ، فيجيء بنقيضه (37) .

ومن ذلك أيضا قول بشار بن برد في باب ما قيل في الصرف والممزوج : (38)

(الطويل)

فبت بها لا يخلط الماء بيننا إلى الصبح دوني حاجبٍ وستورُ

فأخذ المعنى علي بن الجهم ، فقال : (الطويل)

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب

والأول أجود لأن الماء ألطف من الراح ، والثاني أظرف . والدليل على أن الماء ألطف من الشراب قول الآخر :
(الطويل)

يكادُ فضيضُ الماءِ يجرُحُ جلدها إذا اغتسلتُ بالماءِ من رقة الجلد
وأرحمُ خديها إذا ما رمقتُها حذارا عليها أن يوثر في الخدي

فالنقاد اجري مفاضلة بين أجود النصين ، مستدلا لرأيه النقدي وإقناع للقارئ بما زوده من دليل شعري ، وكان ابن المعتز بدليله هذا أراد أن يدفع عنه ربما تهمة الانحياز لأحدهما دون الآخر دون أن يصرح بالسرقة بل اسمها (الأخذ بالمعنى) .

ومن أهم مفاهيم السرقة هو (التناسب) : هو اختلاف الالفاظ والظواهر ، واتفاق الأغراض والمقاصد ، وكان المعنى الصريح هو النسب الذي يتفرع عنه التعبير الشعري بما يميزه من تشبيه واستعاره (39).

وتمثلات ذلك في قول الحكمي الذي أورده ابن المعتز في وصف الشراب : (40)
قامت بإبريقها والليل معتكراً فلاح من ضوئها في البيت للأء (البسيط)
وأرسلت من فم الإبريق صافية كأنما أخذها للعقل إغفاء

ويعلق ابن المعتز تعليقه النقدي قائلاً: " وقد اختلف في هذا المعنى ، فذكر قوم أنه مبنئ من قول الأخطل ، وقال قوم بل حوله الحكمي من قول عنان ، وذلك أنه سألتها عن صاحبة لها كانت عليلة فقال لها : ما حال فلانة في علتها ؟ فقلت : قد دببت العافية في بدنها . وقال لي رجل من ثقات أهل الأدب : المعنى كان لمسلم بن الوليد في وصف امرأة ، فحواله الحكمي إلى وصف الشراب " (41) وانشد قول مسلم بن الوليد : (42)
(البسيط)

فرعاء في فرعها ليل على قمر
كأن قلبها وشاحها إذا نظرت
أذكي من المسك أنفاسها وبهجتها
أرق ديباجة من رقة النفس
تجري محبتها في قلب عاشقها
مجرى المعافاة في أعضاء منتكس
على قضيب على دعص النقا الدهس
وقلبها قلبها في الصمت والخرس

تتفق الابيات الواردة جميعها عند النقاد على معنى واحد ينصب حول تشبيه الشراب بالمرأة الجميلة وما تفعله في قلب صاحبها ، مستعملين الأوجه البلاغية من تشبيه واستعارة في التعبير عن المعنى ذاته بألفاظ مختلفة هذا من الناحية الفنية .

اما من الناحية النقدية ، فقد أوردها ابن المعتز في قضية اخذ المعنى أو تناسبه على لسان ذكر القوم أو ثقافة الأدب من دون أن يتبناه شخصياً . فهل هذا طعن في قدرته النقدية في اظهار موضع الأخذ أو السرقة ومن الناقل الأول ومن المنقول منه الأول؟ بالتأكيد ليس طعناً في تلك القدرة ولكن لها منظور آخر يرجح فيه الى ذلك المعنى المشترك الذي تداوله الشعراء في الوصف والتشبيه وهذا الاشتراك الكبير قد ضيع هوية النص الأصلي ، لذلك كثرة الاقوال بصحة سنده ، أو أن ابن المعتز لا يريد فرض رأيه على رأي ثقافة القوم المجتمعين في الرأي وهم اسبق منه بالقول .

ويتضح هنا دور الثقافة الأدبية بين متداوليها ، ثقافة التفاعل بين الادباء والنقاد بالقبول والاحترام ، أو ربما ترك ابن المعتز صحة السند للفارئ وهو نوع من ثقافة وابداع النقاد في اشراك الآخر في فك شفرة النص أو معرفة انساقه وأسسها .

إن هذه الرؤية النقدية التي نقلها ابن المعتز جعلته ناقدا متساميا مع الآخر لا يعيش متقوقعا في حدود رؤيته الزمكانية أو الذاتية .

ثانياً : الموازنة

تعد الموازنة أداة نقدية يتم عبرها الكشف عن سمات النص الادبي الشعري أو النثري وإبراز ما فيه من سمات إيجابية وأخرى سلبية ، فهي " ضرب من ضروب النقد يتميز بها الرديء من الجيد ، وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان فهي تتطلب قوة في الأدب وبصرا بمناحي العرب في التعبير" (43)

ولقد تعددت مصطلحات الموازنة ، فهي دخلت في سياق الترادف ، وقد أوردها الجاحظ (255هـ) بعدة مسميات منها الموازنة ، المقابلة ، المغايرة ، بقوله : " إن ابدانهم متى أحست باصناف المكروه والمحبوب ، وازنوا وقابلوا وغابروا وميزوا أتم الخيرين وأنقص الشرين" (44) ، أما الأمدى (370هـ) فقد اسماها الموازنة ، المقايسة ، المقارنة ، إذ قال في صدد الموازنة بين شاعرين : " وجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جديهما وبدائعهما " (45) ، و اسماها ابن رشيق القيرواني (456هـ) المقابلة : " ومن المقابلة ما ليس مخالفا ولا موافقا كما شرطوا إلا في الوزن والازدواج فقط فيسمى حينئذ موازنة" (46).

وفي كتاب الوساطة للجرجاني (471هـ) نلحظ من حديثه عن قصيدة عبد الصمد بن المعذل، انه يصرح بتسلسل منهجي نقدي تمر به القصيدة ، قائلاً: " وأنت قست أبيات أبي الطيب بها على قصرها ، وقابلت اللفظ باللفظ ، والمعنى بالمعنى ، وكنت من أهل البصر ، وكان لك حظ في النقد تبينت الفاضل من المفصول" (47).

نستنتج من هذا الترادف والاشتراك اللفظي في مصطلح الموازنة أنه يحمل أكثر من مفهوم جميعها تدلو بدلو واحد ، أو قد يمر المصطلح بعدة مراحل إلى أن يصل إلى مفهوم الموازنة ، وهذه المراحل التي كشفها الباحث والناقد إسماعيل خلباص في كتابه (الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا) ، إذ قال:

تنص المرحلة الأولى على أهمية الكشف عن النصوص، وهذا يتم بثلاث خطوات هي : المقابلة ، والمقارنة ، والمقايسة ، إذ بالمقابلة تتم عملية المواجهة بين أجزاء النصوص وتليها المقارنة التي تعني المصاحبة بين النصوص ، أما المقايسة فهي اخضاع جميع أجزاء العمل لوحدة معينة .

والمرحلة الثانية: هي الإحصاء وتستنشف عبرها المحاسن والمساوئ ، والقوة والضعف التي استخلصت في مرحلة الكشف وهي المرحلة التي يطلق عليها الموازنة .

والمرحلة الثالثة هي خلاصة المرحلتين السابقتين ، إذ يُخرج من خلالهما بحكم مسوغ بتعليل ما ، وهي المرحلة التي يطلق عليها بالمفاضلة (48)

وهذا التنظير لمفهوم الموازنة يؤكد حقيقة واحدة هي أنّ الموازنة مرحلة متقدمة وسابقة لمفهوم المفاضلة، " الموازنة مستوى من مستويات المفاضلة وأساس لها منذ الجاهلية " (49) ، وعليه فإنّ الموازنة عُرفت بين الشعراء والنقاد منذ الجاهلية واستقر مقامها وأسسها في العصر العباسي فهي وسيلة للمفاضلة بين الشعراء وتقويم اشعارهم وإصدار حكم على افضلية شاعر على آخر (50)، وعبد الله بن المعتز ناقد بارع لا يشق له غبار في موازاته بين الشعراء ومعرفة جديها من رديئها ، واليه يرجع علماء الادب والشعراء لعرض بضاعتهم الأدبية لقيمتها ، إذ كانت تقام عنده المجالس الأدبية والنقدية ، وحتى في موضوع الخمرة والاشربة له محطات نقدية قائمة على الموازنة والمفاضلة بين افضل واحسن من ذكرها شعرا معللا أحيانا في ذلك من جهة اللفظ او من جهة المعنى ، ومن ذلك، ما قاله ابن المعتز (51): بلغني أن الحكمي اجتمع هو وشاعر الشام ، فأنشده هذه القصيدة ، فلما انتهى الى قوله : (المديد)

فتمشّت في مفاصلهم كتمشّي النار في الفحم

قال له شاعر الشام : أفسدت كل ما جنّت به من الاحسان ووصلت خطلا بخلل . امسك عليك أبا علي ، فإن هذه كلمة عامية يلوكها الشارد والوارد . ألا قلت : (المديد)

فتمشّت في مفاصلهم كتمشّي البرء في السقم

فهو أبين للمعنى ، فأذعن الحكمي لقوله ، ثم إنّ شاعر الشام سرق المعنى من الحكمي فجاء بمعنى بديع ، فقال: (البسيط)

كأن مشيتها في جسم شاربها كمشية الصبح في احشاء ظلماء

فأحسن سرقة المعنى وجانس بين الظلماء والفحم والصبح والنار ، وناسب الكلم من أوجه. قال أبو العباس : ولما أبدل شاعر الشام على الحكمي كلمته ، بقيت كلمة الحكمي غائرة ولم تنزل في الطريق يمضغها الناس حتى وصلت إليّ، فقلت : والله المعنى حسن ، وهل شيء احسن من تمشي النار في الفحم ، وانا بهذا المعنى أولى من كفه . ما نلحظه أنّ الشاعر الحكمي ضم اكثر من تقييم وحكم ، فالتقييم الأول صدر من شاعر الشام: (أفسدت كل ما جنّت به من الاحسان ووصلت خطلا بخلل . امسك عليك أبا علي ، فإنّ هذه كلمة عامية يلوكها الشارد والوارد) ثم ألقى ذلك الحكم على عاتق عامة الناس بقوله : يلوكها الشارد والوارد ، ثم ليغير ما أصابه من فساد لفظي ويستبدله به القول : فتمشّت في مفاصلهم ...، ويصدر حكم الابانة من ذاته عليه دون الأخذ برأي الحكمي أو ناقد آخر ، وهذا نوع من أنواع الغرور الادبي ، ثم يُغير على شعر الحكمي بسرقة المعنى وهو يقول : كأن مشيتها في جسم شاربها ...، ثم لتأتي موازنة ابن المعتز بين القولين ، ليصدر حكمه باستحسانه سرقة شاعر الشام ، ثم أشاد بحسن المعنى في شعر الحكمي ، وهو بهذا يحكم بأفضلية المعنى الأصلي لا المسروق وأن لم يصرح تصريحاً مباشراً. إنّ الأساس الذي تعقد لأجله الموازنة لا بد من أنّ يعود إلى اصل واحد بين طرفي الموازنة ، إذ لا بد من اتفاق من ناحية واختلاف من ناحية أخرى " فالأشياء المتفقة في كل شيء على فرض وجودها ، لا معنى للموازنة بينها ، إذ هي شيء مكرر الصورة ، والأشياء المختلفة في كل شيء على فرض وجودها لا معنى للموازنة بينها كذلك ، إذ لا مناسبة بينهما تقرن بين افرادها " (52).

فلا بد من وجود مسوغ نقدي لعقد الموازنة ، فمثلا الموازنة قائمة على أساس معنى من المعاني ، فإذا " وزن المعنى الأول بمعايير الالفاظ والمعاني والتراكيب ، فإنّ المعنى الثاني يوزن بها نفسها " (53) ويمكن تفسير ذلك في تلك الموازنة التي عقدها ابن المعتز بين قول الاعشى : (54) (الكامل)

ومدامة مما تعقّ بابل كدم الذبيح سلبتها جريالها

(الطويل)

وبين قول مسلم بن الوليد (55)

إذا شئتما أن تسقياني مدامة فلا تقتلاها كل مبيت محرم

جاء الشاهدان في معرض وصف الشراب الأحمر الذي كثيرا ما يشبّه الشعراء بدماء الظباء وحمرة الخدود ، وقد عقد ابن المعتز الموازنة بينهما على أساس المعنى لا الشكل فقال : إنّ معنى بيت الاعشى انه شربها حمراء وبالها بيضاء ، وهذا معنى حسن ، وإنّ كان مستورا ، فيما كان معنى بيت ابن الوليد الذي عول على الأول فجاء مكشوفاً (56).

لقد كانت الموازنة بين عصرين مختلفين تماما ، العصر الجاهلي بجزالة الفاظة ورسانة أسلوبه ، والالفاظ تخدم المعنى بصورة مجازية ، لأنهم أمة شعر وبلاغة وبيان لا ينقاد المعنى الى السامع بسهولة الا لمن كان يتميز بقدرته البلاغية ، والطرف الاخر العصر العباسي وسلاسة الفاظه ورقة عباراته والتفنن في اختيار المعنى ، فالمعنى ينقاد بسهولة للسامع ، وابن الوليد حين عول على الاعشى ، استمد من المعنى الواحد معاني عدة وتراكيب لفظية اكثر

وصفا ، إلا أنّ الاحتكام كان على المعنى المشترك لا المختلف او المتعدد ، ففضل ابن المعتز المعنى المستور على المكشوف ، وهذه ميزة المفاضلة بين المعنى المستور على المكشوف ، إذ المعنى المستور هو ابرز ما يميز الشعرية العربية ، أي المعنى لا يأتي بصورة مباشرة وإنما يوحى به ، وهذا يحتاج الى القارئ والناقد البارع ذي البصيرة النقدية العميقة ، لأنّ المعاني في النص الشعري إما أن تكون ظاهرة للحواس أو باطنة للعقول ، وهذا المستور أكثر إفرزا للدلالة من الحضور .

وفي موضع آخر نجد ابن المعتز ينتصر مرة أخرى للمعنى الغريب واللفظ الجزل وهو ينقل قول لبعض العرب يصف قوة رائحة الشراب : (57)

(المتقارب)

وشرب كرام حسان الوجوه تغاديهم النشوات ابتكارا

كमित تكاد وإن لم تدق تثنى إذا الساقيان استدارا

وبين قول مسلم بن الوليد الذي اخذ المعنى وزاد عليه قائلا: (58) (المتقارب)

فلم يبق منها سوى طعمها ونكهة ریح لها لم تزل

كفاني من شربها شمها فرحت أجزر ثوب الثمل

ورؤية ابن المعتز النقدية في أن القول الأول: الشراب فيه يسكر برائحته وهذا من بدیع المعاني الغريبة ولم يُر مثله إلا لمسلم بن الوليد الذي عول عليه ومنه اخذ (59) ، فالجودة للأصل لا للتبع ، ومع هذا فإن ابن المعتز وضع القولين في حكم واحد ، ثم ينشد ابن المعتز بذات المعنى شعره ليدخله في باب الموازنة بين الشواهد الثلاثة من دون أن يصدر حكم الموازنة بينهما ، إذ قال : (60)

(الخفيف)

إن راحا قال الإله لها كوني فكانت ريحا وروحا وراحا

درة حيث ما أديرت أضاعت ومشم من حيث ما شم فاحا

لونها كالعقيق في طيب ريح ونسيم يحاكي التفاحا

إن البعد الثقافي لابن المعتز شاعرا وناقدا وكاتباً بارعا في علم البلاغة والبدیع ساعده في أن يعطي رؤية ثاقبة حول الموضوع ويضفي عليه ألوانا تزيده جمالا وتأويلا ، بل يكون اشمل للمعنى واكمل للدلالة ولا يقيد بوصف جزئي لرائحة الشراب فهو يتجاوزه بالقول البليغ ، فرائحة الشراب هي الريح والروح والراح ، بل هي ابلغ من ذلك فهي درة مضيئة وهي المشم كلما شم فاحا ، ثم أن لونها زاد من طيبها فهو كالعقيق ، وأما نسيما فهو يحاكي التفاحا . انها صورة بدیعية متكاملة الجمال صيغت بنفس نقدي عال . وهو بهذا القول أراد أن يكسر من قيمة النصوص التي سبقت واصدر الحكم فيها . أما نصه بتلك الصياغة اللطيفة فهو قد تركه للقارئ والمستمع فهما أولى بالتقييم والموازنة ؛ لأنّ الشعر يكتب للناس كافة لا للناقد ونقده .

وفي موضع اخر من الكتاب يعقد ابن المعتز موازنة بين الشاعرين الطائيين البحتري وأبي تمام ، فهما الشاعران اللذان انكبت حولهما الدراسات النقدية بالموازنة والمفاضلة ، وفي موضوع وصف الشراب الأسود كان لهما نصيب في الوصف ، إذ قال البحتري: (61)

(المتقارب)

شربت مشمس قطريل وجرتنا دقل الدسكرة

إذا صب في الكأس مسوده فكف النديم به محبره

وهو يمثل الشراب الأسود بحبر الكتاب

وقال أيضا : (62)

(الخفيف)

لو تراني وفي يدي قدح الدو شاب أبصرت بازيا وغرابا

وهنا يشبه الشراب الأسود بالغراب والباز الأسود .

وأما قول ابي تمام الطائي وهو جواب لما استهدى اليه من صديق له ولم يرضه ، فرد عليه قائلا: (63)

(الخفيف)

يشبه المنع باحتباس الرسول

ع لدينا من قبح وجه الشمول

نيم جريالها ولا سلسبيل

ساغ فلي مفصل بغير دليل

ت بها رحمة على ابن سبيل

بعد كد من ماء وجه البخل

فعرفنا كثيره بالقليل

قد رأينا دلائل المنع أو ما

وافترضنا عند الندامى بما شا

فاجأتنا كدرا لم تسب من تس

ليس تهدى سبل العروق ولا تند

احتسابا بعثها أم تصدق

فكان الأتامل اعتصرتها

كم صديق قد امتحنا نداء

فابن المعتز في تلك الموازنة يستحسن قول ابي تمام الطائي ، وهو لا يعيب بهذا الاستحسان شعر البحتري ولا يحط من قيمته الفنية والمعنوية ، وإنما مفاضلة بين احسن القولين ، وربما هذا الاستحسان نتيجة لدقة الوصف والتفصيل وقوة المنع والرفض لما استهدى له من شراب اسود ، وهو شراب غير مرضي عند العرب (64)، والا فإن الشاعرين محط اهتمام ابن المعتز ، وهما في كف القبول والاستحسان لديه ، وإنما هذه الموازنة بينهما في ميزان اظهار المقدرة النقدية لدى الشعراء .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الاطهار .
يتميز هذا الكتاب الأدبي / النقدي بميزات أفردته عن غيره من حيث المنهج المتبع المغاير عما سبقه من الكتب الأدبية المؤلفة ، ويتجلى ذلك فيما يلي :

1- نجد الجذور الأولى للتأليف الحديث المعاصر ونقده في هذا الكتاب عبر العنوان الرئيسي والعناوين

الفرعية لكل فصل من الفصول الأربعة ، تتبعها تصديرة لقول عالم أو حكيم أو طبيب أو مثّل وغيره .

2-إلتزام الكاتب بالتتابع المنهجي للموضوع من حيث أهمية الخمرة وما قيل فيها ، فضائل الشراب ،

ومعرفة ألوانها ، وأنواع الأشرية ، وسبب اختلاف أنواعها ، ثم عرّج بالقول على ما قيل من تحريم

الشراب وتحليله ، وخواتيم الفصول كانت في سبب السكر واختلاف أفعاله وتباين حركاته في الأبدان.

3-تم اختيار الشواهد الشعرية حسب مختلف العصور السابقة والحالية لعصر الكاتب ، وهذا ينم عن اقدمية

موضوعة الخمرة في التأليف الأدبي مما جعله فنا قائما بذاته .

4-إنّ الروح النقدية التي كان الكاتب يتمتع بها فرضت هيمنتها اثناء تداوله للشواهد الشعرية التي تصف

موضوعات الشراب المختلفة . وفي هذا البحث وقفنا عند أبرز النفحات النقدية التي شكلت ظاهرة في

الكتاب ، الأ وهي السرقات الشعرية ، والموازنات بين الشعراء . ومما نلحظه الأسلوب والطرح النقدي

الذي انماز به الكاتب عن غيره بما يتناسب مع أدب الكاتب فهو الأمير وابن الخليفة ومن بيت ملك ، وهو

الشاعر والناقد والكاتب.

5-ففي السرقات الشعرية نلحظ أن ابن المعتز لم يقل هذا شعر مسروق ، بل عادة ما يقول أخذ المعنى ،

أو المعاني الوردة محولة من ...وما شابه ذلك من قبيل اللفظ ، وكثير ما نلحظ أنه يترك تعليقه على

السرقات بين النصوص الشعرية للقارئ أو ينسبه على لسان ذكر القوم أو ثقاة الأدب دون أن يتباه شخصيا

، وكأنه اتخذ من ذلك المجال النقدي دور الراوي لا القاضي.

6- اما في الموازنات النقدية ، أنه لم يشهر القول بتفصيل شاعر على آخر أو ينتقص من شعر شاعر ما

، وانما كان يترك أمر التقييم بالموازنة بين الشعارين الى القارئ عادة بعدما يعطي شرحا نقديا وافيا

بدون أن يفضل احدهما على الآخر ، وهذا يدل على اعتراف ابن المعتز بأن لكل شاعر مقدراته الإبداعية

المتباينة .

الهوامش :

- (1) الأغاني : 7 : 21 .
- (2) ينظر : ابن المعتز الرجل وانتاجه الادبي : 300 .
- (3) الشعر العربي الحديث : 110
- (4) فصول التماثيل في سرور التباشير : 26-27
- (5) م،ن : 25.
- (6) ينظر: شعر اللهو والخمر، تاريخه واعلامه: 16
- (7) ينظر : ابن المعتز الرجل وانتاجه الادبي : 300.
- (8) فصول التماثيل في تباشير السرور: 27-29 .

- 9) ينظر : تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري: 10 .
- 10) فصول التماثيل في تباشير السرور: 31.
- 11) م.ن : 34 .
- 12) ينظر: ملامح الادب في العصر العباسي الأول : 404.
- 13) فصول التماثيل في تباشير السرور: 30.
- 14) ينظر: وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان: 3/ 76 .
- 15) فصول التماثيل في تباشير السرور: 12.
- 16) ينظر: م.ن : 18 .
- 17) م.ن : 18 .
- 18) فصول التماثيل في تباشير السرور: 12.
- 19) ينظر : شذرات الذهب في اخبار من ذهب : 3 : 409 .
- 20) ينظر : العمدة في محاسن الشعر : 1 : 270 .
- 21) ينظر : اعجاز القرآن ، الباقلائي : 1 : 176 .
- 22) ينظر : م.ن : 1 : 278 .
- 23) ينظر : ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان : 529
- 24) ينظر : الكامل : 2: 102، وحلية المحاضرة : 2: 55، والوساطة بين المتنبي وخصومه: 1: 104 .
- 25) تاريخ النقد الادبي عند العرب : 67.
- 26) ينظر: حلية المحاضرة : 2 / 67، العمدة: 2 / 290 ، الموازنة : 1 / 336 .
- 27) ينظر: الأغاني : 7 / 23 .
- 28) الوساطة : 1 / 166.
- 29) م.ن : 192 .
- 30) الموازنة : 1 / 280 ، 304 ، 373 .
- 31) ينظر: م.ن : 1 / 281 .
- 32) فصول التماثيل في تباشير السرور: 75 - 77 .
- 33) ينظر : السرقات الأدبية ونظرية التناص بين الاتصال والانفصال : 32 - 33.
- 34) فصول التماثيل في تباشير السرور: 110 .
- 35) م.ن : 110
- 36) ينظر : السرقات الأدبية ونظرية التناص بين الاتصال والانفصال : 32 - 33
- 37) ينظر : الوساطة : 1 / 192 .
- 38) فصول التماثيل في تباشير السرور: 169.
- 39) ينظر : الوساطة : 186.

- 40) فصول التماثيل في تباشير السرور: 77.
- 41) م.ن : 78 .
- 42) م.ن : 78 .
- 43) الموازنة بين الشعراء ، د. زكي مبارك : 5 .
- 44) كتاب الحيوان : 145 / 2.
- 45) الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري : 5 / 1 .
- 46) العمدة في محاسن الشعر وادابه : 19 / 2 .
- 47) الوساطة : 132 / 1
- 48) ينظر : الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا : 16-18 .
- 49) أصول النقد الادبي ، احمد الشايب : 280 .
- 50) ينظر : الأمدي ومنهج الموازنة : 239 .
- 51) فصول التماثيل في تباشير السرور: 77.
- 52) شعر عروة بن الورد وعبيد الله بن الحرّ الجعفي : 26 (رسالة ماجستير)
- 53) الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا : 14 ، 15 .
- 54) فصول التماثيل في تباشير السرور: 88.
- 55) م.ن : 88
- 56) م.ن : 88
- 57) فصول التماثيل في تباشير السرور: 72
- 58) فصول التماثيل في تباشير السرور: 72
- 59) م.ن : 72
- 60) م.ن: 73
- 61) فصول التماثيل في تباشير السرور: 116 .
- 62) ينظر : م.ن : 116 .
- 63) فصول التماثيل في تباشير السرور: 117 .
- 64) ينظر : م.ن : 115 .

المصادر والمراجع :

- 1-الأعاني ، أبو الفرج الاصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، تصحيح محمد الشنقيطي ، بيروت ، دار الفكر ، ط2 ،
- 2- الأمدي ومنهج الموازنة ، د. ناصر حلاوي ، ضمن كتاب محاضرات في تاريخ النقد عند العرب ، د. ابتسام مرهون الصفار ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، الموصل ، 1990 .
- 3- ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، محمد عبد المنعم الخفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 .
- 4- ابن المعتز الرجل وانتاجه الادبي ، فهد أبو خضرة ، مكتبة السروجي ، عكا ، 1981 .
- 5- أصول النقد الادبي ، احمد الشايب ، ط10 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1994.
- 6- اعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي ، ط5 ، دار المعارف مصر ، 1997 م .
- 7-تاريخ النقد والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، محمد سلام زغلول ، دار المعارف ، مصر ، 1964 .
- 8- تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري ، إبراهيم طه احمد ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
- 9- حلية المحاضرة في صناعة الشعر لابي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي ، تحقيق : جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشر ، 1979 .
- 10- السرقات الأدبية ونظرية التناص بين الاتصال والانفصال ، فؤاد حملاوي ، دار الثقافة ، بيروت، ط2 ، 1986 .
- 11- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، عبد الحي بن احمد بن محمد ابن العماد الحنبلي ، ط1 ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1986 م.
- 12- الشعر العربي الحديث والمعاصر ، بنياته وإبدالاته ، محمد بنيس ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1991 .
- 13- شعر اللهو والخمر ، تاريخه واعلامه ، جورج غريب ، مطبعة الغريب ، بيروت ، 1966 م.
- 14- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت
- 15- فصول التماثيل في تباشير السرور ، ابي العباس عبد الله بن المعتز ، تحقيق وتقديم: الدكتور جورج قناز ع ، الدكتور فهد أبو خضرة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1989 .
- 16- الكامل ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (285هـ) حققه وعلّق عليه وصنع فهرسه ، د. محمد احمد الدالي ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة ، 1992 .
- 17- ملامح الأدب في العصر العباسي الأول ، عبد الهادي عبد الله عطية ، مكتبة بستان المعرفة ، الإسكندرية ، ط1 ، 2002 .
- 18- الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، الامام أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الامدي البصري (370هـ) قدم له ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971 .
- 19- الموازنة بين الشعراء ، زكي مبارك ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1993 .
- 20- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني ت (392هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي البجاوي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة (د.ت)
- 21- وفيات الاعيان وانباء الزمان ، أبو عباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (681هـ) تحقيق : د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

الرسائل والاطاريح:

- 1- شعر عروة بن الورد وعبيد الله بن الحرّ الجعفي ، حفصة عمر إبراهيم العمر ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 2014 .

2- الموازنة منهجا نقديا قديما وحديثا إسماعيل خلباص حمادي، رسالة ماجستير كلية التربية ، جامعة بغداد ، 1989 .

المستخلص باللغة الانكليزية

Social and cultural life in the Abbasid era was full of many phenomena and issues that were at the forefront of poetic and prose topics, and the subject of winery was one of the issues that sparked controversy in society, between an analyst, Muharram and between a descriptor of it, and the last of its taker as a science that studies its origins, benefits and stripes. In this research, the book (Chapters of Statues in the pleasure of Al-Tabashir) by the poet and critic Ibn Al-Mu'taz; because it represents one of the few literary books that took winery as a literary subject circulated in four chapters, and Ibn al-Mu'taz was not satisfied with that only, as he added a critical character to the book and was a prospector and researcher in his poetic citations.

The research continued in its introduction to the literary definition of the writer Ibn Al-Mu'taz with a long pause on the concept of winery and its repercussions in Arabic poetry, and then the work was in its first start at the school of the book and its literary dimensions in terms of title, content, style and literary value, then the research went to the critical dimensions standing at the most prominent critical phenomena in the book, which are poetic theft and balances, to reach the most important summary results of the book.
